

في التنظيم الثوري السري

من النشاط المثابر، وتحويل الخلية لرابطة يحتاج لأكثر من ذلك، وكادر يتكون في رحم المكان والزمان ويجب عن أسئلة كثيرة وتكون لديه مقدرة تربوية يحتاج للعديد من الشروط.

لم تكن المسيرة مبسطة، والخفة لا تساعد على فهمها. فأن تنتمي لتنظيم يساري في بلد تقليدي، يعني استحقاقات تتصل بالوعي والانضباط وتقاليد العمل، بل الصمود في الزنازين، أي ليس مجرد حافز وطني فقط، وإن كان الحافز الوطني هو محرك الانتماء اليساري في نهاية الأمر. فيسار لا يتعمد في لهيب النضال ضد المحتل ويدفع ثمن ذلك، ليس يساراً بل (فجل أحمر من الخارج وأبيض من الداخل) لينين.

ومنذ أواخر السبعينات تكرر خط الصمود في الزنازين، ونادراً أن انكسر كادر، أما قبلئذ فالصمود كان نادراً. ومثل هذا الصمود الجماعي لم يتحقق بطرفة عين، بل بالتربية الدؤوبة واجترار قوة المثال، والتصليب الفكري...

ولم يتحقق إصدار صحيفة أو مجلة كضربة حظ أو من خلال أكاديميين درسوا في الجامعات، بل نتاج تراكمات وتراكمات، شأن الطفل الذي يغدو راشداً بعد مسيرة حياة، يعيش التجربة بنفسه ويكتسب الخبرة بنفسه...

إن عدد المرات التي تعرضنا فيها للضربات الاعتقالية لا تحصى، إنها بالمئات، وفي مرات عديدة كانت تصفوية تجرف الامتدادات التنظيمية عن آخرها، ورغم تزايد أعدادها في الثمانينات غير أن حجمها تقلص نتيجة صمود الكادرات والكثير من النشطاء.

لكن الضربات بعد عام ١٩٨٢ لم تعد تصفوية مهما كان حجمها، فقد اشتد ساعد التنظيم واتسعت صفوفه. وعلى سبيل المثال جرى اعتقال حوالي ٦٠٠ عام ١٩٨٥ ونحو ألفين عام ١٩٨٩-٨٨ غير أن ذلك لم يقصم ظهر التنظيم ولم يهشم هيكله العظمي، رغم الأضرار الموجهة والخسائر القاسية خصوصاً أنها أصابت بعض المفاصل والمستويات الكادرية.

وبتوافر الشرط القيادي على مستوى الوطن وأفواج من كادرات الصف الثاني في مختلف المناطق والدوائر واللجان، إنما توافرت قوة الضخ التي تكفل انتظام الآلية والمتابعة كشرطين حاسمين لاستمرار العمل وترميم الثغرات، فما أن ينتزع مفصل يحل آخر وما أن تزاح لجنة تتشكل أخرى على أساس «العمل المتكلم» والإنجاز والتجاوب مع المهمات، بصرف النظر عن الألقاب الرسمية.

لم تحصل أخطاء فكرية - سياسية تهدد المسيرة كما لم تحصل اختناقات مالية، بل تمايزنا في التحليل والتكتيك، كما أن سياسة التقشف المالي سمحت لميزانيات متواضعة بتغطية أنشطة واسعة.

ولا أملك معلومات وافية عن السياسة المالية وحجم المتفرغين، وغيري يجيب أفضل مني، ولكن الذي أعرفه أن نسبة التفرغ لم تزيد عن ٢٪ ومبلغ التفرغ كان ينحصر في ثلثي ما تنص عليه اللائحة المالية وتتراوح بين